أبو الأعلى المودودي -1-

الأخ زهير الشاويش

تلخيص لبعض جوانب حديث الأخ زهير الشاويش الذي ألقاه عن أبي الأعلى المودودي في الندوة الشهرية المنعقدة في المركز الإسلامي في آخن (مسجد بلال) في 1979/09/29م وذلك عقب ورود النبأ بوفاة المودودي رحمه الله

إنّ الحديث عن أبي الأعلى المودودي الرائد الكبير في الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ ، والمؤلف الذي أغنى المكتبة الإسلاميّة بالعديد من المؤلفات ، والمجاهد الذي قارع أعداء الإسلام في كل مكان ، والأستاذ الذي كان له فينا منـــزلة الوالد والأخ والصديق .. إنّ الحديث عن أبي الأعلى حديث طويل طويل ، لا يفي به الوقت في هذه الندوة التي رتبت أوقاتها وموضوعاتها قبل وفاة المودودي رحمه الله ..

ثم كيف يستطيع مفجوع مثلي في هذه الليلة أن يستجمع أفكاره ويسلسل آراءه في الفقيد العظيم ونحن لَمَّا نَصْحُ بعد من آثار النبأ الصاعق ..

لقد كان أبو الأعلى المودودي علماً من أعلام الإسلام الكبار الذين قل مجيء أمثالهم منذ عصور .. ولا أبعد إن قلت : إنه لم يأتِ مثله في القارة الهندية ، فقد اجتمع له من الجوانب والفضائل ما لم يجتمع لغيره .. وكان صاحب الأثر الكبير في المجتمع في مختلف أبعاده ونواحيه ، وصاحب المؤلفات العديدة العميقة الشاملة التي أنارت للمسلم طريقه الإسلاميّ الأصيل في القرن العشرين ، وجدّدت في كل النواحي التي يحتاجها المسلم في هذا القرن ، وعرضتها أنصر وأشملَ وأدقَ وأحسن عرض

أقول هذا وأنا أعلم كم أخرجت القارة الهندية من العلماء الكبار ، وعندي من تراجمهم وآثارهم الشيء الكثير .. ومن هؤلاء الكبار السيد أحمد السرهندي ، والسيد صديق حسن خان ، وأنور أحمد شاه ، ووليّ الله الدهلوي ، ومسعود الندوي ، وأستاذنا أبو الحسن ، وغيرهم مما لا مجال لتعداده الآن

لقد كانوا في العلم والعمل بمنـــزلة عالية جداً ، ولكن الأثر الأقوى -في اعتقادي- إنما كان لأبي الأعلى المودودي ..

لقد كان عمل أكثرهم في حدود الكتب أو عدد محدود من الناس .. وكانت تعوز بعضهم الأصالة وسلامة المنهج ، ويعوز بعضهم الشمول في الفهم والتطبيق والعمل ..

أما أبو الأعلى فكان ميدانه الإسلام كلّه ، والناس أجمعين

يقول -رحمه الله تعالى- :

1- دعوتنا للبشر كافة ، والمسلمين خاصة ، أن يعبدوا الله وحده ، ولا يشركوا به شيئاً ، ولا يتخذوا إلهاً ولا رباً غيره

2- ودعوتنا لكل من أظهر الرضا بالإسلام ديناً ، أن يخلصوا دينهم لله ، ويزكوا أنفسهم من شوائب النفاق ، وأعمالهم من التناقض

3- ودعوتنا لجميع أهل الأرض ، أن يحدثوا انقلاباً في أصول الحكم الحاضر ، الذي استبد به الطواغيت والفجرة ، الذين ملؤوا الأرض فساداً ، وأن ينتزعوا هذه الأمانة الفكرية والعملية من أيديهم ، حتى يأخذها رجال يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويدينون دين الحق ، ولا يريدون علواً في الأرض ولا فسادا

يا أبا الأعلى : لقد جعلت هذا الشعار ، نصب عينيك وسرت في سبيل تحقيقه قريباً من ستين سنة .. لم تنحرف بك الطريق ، ولم تستهويك المغريات ، ولم تصدك الحواجز والعقبات .. رحمك الله وعوضك الجنة . على حسن بلائك وصبرك .. وقد عَلِمْنا كم يلقى من سار على هذا الدرب من عنت وظلم وتعب !!

هذه النظرة الشاملة تدلك على الفارق بين أبي الأعلى وبين جلّ من عرفنا من رجال الإصلاح في القارة الهندية .. بل وفي غيرها من البلاد الإسلاميّة

لقد عرفنا في الهند من العلماء الكبار ممن سبقنا وممن عاصرنا كثيرين لهم فضائلهم العديدة وجهودهم المحمودة .. ولكن المقارن بين المودودي وسواه يخرج بنتيجة ملموسة وهي :

المودودي : أثَّر في المجتمع تأثيراً شمل جميع الناس ، المسلمين وغيرهم

المودودي : كان واضح الطريق ، سليم المنهج ، مركز الفكر في كل ما كتب

المودودي : كان واقعياً بعيداً عن التخيلات والأوهام

المودودي : كان صاحب عقيدة سليمة لم يهادن فيها أحداً ، و لم يلتمس العذر للأخطاء .. بل كان مثل الجرّاح يستخرج من جسم الأمة ، وفكر أبنائها كل داء

– للكلام صلة –